((فن التراجم بين التوثيق و الانتماء))

ارتبط فن التراجم في أدبنا العربيّ بعد وفاة الرسول الكريم مباشرة بعلم الحديث، فمن أجل التركيز على صِحَّة ما يُنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم تمَّ تتبُّع حياة الرواة و حياة الأسماء الواردة في السَنَد، و مع اتساع حركة التأليف الفني و تطور المعارف و العلوم في زمان الدولة العباسية اتسعت دائرة هذا اللون من الكتابة لتتشعَّب أنواعه إلى أنواعٍ شتَّى شملت (تراجم على الطبقات و الحروف – التراجم على الوفيات– التراجم على المذهب أو العقيدة – التراجم على البلدان – التراجم على فن معيَّن من العِلم – التراجم المُتعلّقة بشخصٍ مُعيّن – التراجم على القرون أو زمنٍ مُعيَّن)، لتُطِلَّ علينا المكتبة العربية بمراجع هامة منها على سبيل المثال لا الحَصْر" مناقب الإمام أحمد لابن الجوزيّ" و" مناقب الإمام الشافعي لابن كثير و البيهقيّ....وغيرها.

و الكاتب الحفناوي بن عامر غول الحسني في كتابه((الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي)) يعرض لحياة هذا العالم بالوثائق، و يتطرّق لجوانب جديدة لم نعرفها عنه نحن العرب، فقد عرفنا عبد القادر بن إبراهيم المسعدي كشاعر من خلال نشر سيرته و نماذج من شعره في "معجم البابطين للشعراء العرب في القرنين التاسع عشر و العشرين"

http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=٤٠٩٧

لكن في هذا الكتاب الذي بذل فيه المُحقّق جهدًا مشكورًا يُبيِّن لنا و للعالم العربيِّ جوانب كثيرة من حياة هذا الشاعر الكبير، فيُظهر دوره الديني الإصلاحي باعتباره واحدًا من أكبر شيوخ و علماء عصره، و يُبيِّن علاقته بالعلّامة الشيخ ابن باديس، و دوره التربوي التعليمي الديني ليس في مدينة الجِلفة فقط بل في الجزائر كلها كما جمع المُحقِّق بين الحديث عن شخصية الكتاب و مَن عاصرها من العلماء و الشيوخ إضافة

إلى أساتذته و تلاميذه، كما يعرض الكاتب للجانب الوطنيِّ في حياة الشاعر الشيخ و مقاومته للاحتلال الفرنسي و ما لاقاه من معاناة بسبب هذا الدور الوطني العظيم,

وعلى المستوى الأدبي عرض المُحقِّق لنماذج كثيرة من شعر الشاعر والأغراض التي كتب فيها، إضافة إلى ما كتبه من نثر، فعرض نماذجًا من خُطبه في مناسبات مختلفة، كذلك عرض نماذجًا من رسائله بمختلف أنواعها في عرْضٍ أدبيّ تاريخيّ مُزوَّد بالوثائق التي تعكس مدى التعب و الجهد الذي بذله المؤلف في سبيل تحقيق هذا الكتاب الذي يُعتبر مرجعًا هامًّا لكل باحث في تاريخ الشعر العربي بالجزائر من ناحية، و مرجعًا لكل باحث في دور العلماء والمشايخ في مواجهة الاستعمار الفرنسي في الجلفة خاصةً و في الجزائر بوجه عام من ناحية أخرى.

و يُحمد للكاتب في هذا الكتاب جوانب فنيَّة كثيرة منها تقسيم الكتاب إلى فصول مع تقسيم الفصل الواحد إلى عدد من العناوين الفرعية المرتبطة به مَمَّا يسهِّل على القارئ متابعته من بدايته إلى نهايته بدقة في التصنيف، إضافة إلى توظيف الهامش لتوضيح فكرة أو عرض اسم مرجع، لكن من أكثر الجوانب التي أعجبتني هي الأمانة العلمية حيث نجد بعض النصوص وضع فيها بَدلًا من كلمةٍ ما أقواس بينها نقاط ليشير المحقق في الهامش إلى أنَّ مثل هذه الكلمات عجز عن قراءتها في الوثيقة الأصلية سواء كان السبب أنَّ تلك الوثيقة قديمة أو لأنَّ تلك الكلمة محذوفة في الوثيقة أصلاً مثلما فعل في الهامش الموجود في أولى صفحات الفصل الخامس الذي عرض فيه نماذجًا مختارة من آثار المسعدي و منها النصوص الشعرية، و تلك أمانة علمية تُحسَب للمُحقِّق. و لنبحر معًا في عالم هذا الكتاب القيِّم للوصول إلى المزيد حول عالم هذا الشاعر و الشيخ المكافح الكبير.

((الناشِر))